٢٨٦٧

المحفوظ هكذا رواه القراء في كتب القراءة وينبغي ان لا يكون المراد من القلم الاعلى لانه مقدم في
الرتبة على اللوح بالنص وانما يراد به القلم الذي نسخ به من اللوح ونزل به جبرئيل دفعة
الى السماء قوله لئلا يتوهم منه ان له سلطانا فان القارى لما امر بان يسأل الله ان
يعيذه من وساوسه توهم منه ان له سلطانا وولاية على اغواء بني آدم كلهم
فبين الله تعالى انه لا تسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة الله تعالى عن طاعته
وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الاية في معرض الامر بالاستعاذة واشارة
الى ان الاستعاذة المامور بها ليست عبارة عن مجرد القول الفارغ عن الالتجاء الى عصمة الله تعالى
وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة الا بتوفيقه
وهذا الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع بين الامرين
لا يكون للشيطان اليه سبيل البتة فان الظاهر ان يقال ليس له سلطان عليه على ما
استعاذ منه الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى ان المستعيذ بالله هو من جمع
بين الايمان به والتوكل عليه قوله يحبونه ويطيعونه يقال توليته اذا واليته واطعته
ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه
يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض قوله
بالله او بسبب الشيطان يعني ان ضمير به يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون وقدم
عليه لايهام الاختصاص او لرعاية الفواصل ويحتمل ان يرجع الى الشيطان ويكون صلة مشركون
محذوفا اي هم مشركون بالله من اجل الشيطان وبسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان
قوله لفظا او حكما منصوبان على التمييز اي المنصوبة لفظها او حكمها يعني ان
تبديل الاية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية وينزل اية اخرى بدلها وقد يكون بان ينسخ
حكم اية من غير ان ينسخ تلاوتها لفظها ويشرع مكانه حكم اخر والتبديل رفع الشيء مع
وضع غيره والمراد به ههنا النسخ واعلم انه تعالى شرع من ههنا في حكاية شبهة منكري نبوة
محمد صلعم روي عن ابن عباس انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى الين
منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من
تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الاية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض بين
الشرط وجوابه توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اي اذا كان هو اعلم بما ينزله من المصالح
فما لهم ينسبون محمدا الى الافتراء بناء على تبديل آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك
مقتضى الحكمة البالغة والمصلحة اللائقة لكل وقت وزمان ويحتمل ان يكون جملة حالية من فاعل بدلنا

بدلنا اي بدلنا عالمين بما في التبديل من الحكمة والمصلحة عدل عن التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة
العلم والمشركون نسبوه عم الى الافتراء بانواع من المبالغات وهي تصدير الجملة باداة الحصر على
قصر الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار وحذف
مفعول لا يعلمون للعلم به اي لا يعلمون حكمة الاحكام وما في تبدلها من المصالح والحكم قوله
كقولهم حاتم الجود بمعنى حاتم الجواد وصاحب جود وكذا روح القدس بمعنى روح مقدس او
صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار باختصاصه بها وان ليس له
شان سوى الاتصاف بها قوله وفي نزل ونزله تنبيه على ان انزاله متدرجا
على حسب المصالح مما يقتضي التبديل يعني ان بناء فعل للعمل المتكرر في مهلة اي
لوجود اصله شيئا فشيئا كدرجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل
لتوزيع نزوله الى الاوقات بانزاله متدرجا على حسب المصالح وذلك يقتضي ان ينسخ حكم
اية ويبدل مكانه حكم اخر وذلك لان المصالح يختلف باختلاف الاوقات فلا جرم يكون انزاله
متدرجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا لهما ولما بنى المشركون
قولهم انما انت مفتر على اشتمال القران على النسخ والتبديل وكان قوله تعالى قل نزله روح القدس
واردا لبيان فساد سندهم كان ايراد اللفظ الدال على تدرج النزول تنبيها على حقية النسخ
والتبديل للاشارة الى ما يقتضيها والمعنى ان جبرئيل نزل بالقران من كلام ربك ملتبسا بالامر
الحق الصحيح ليثبت الذين امنوا بما فيه من الحجج والايات فيزدادوا يقينا وتصديقا
وقرئ ليثبت مخففا من قوله وفيه تعريض اه اي وفي اثبات التثبيت والهدى والبشارة
للمؤمنين تعريض بحصول اضدادها في المشركين وذلك لان قوله قل نزله روح القدس الاية
جواب عن قول المشركين انما انت مفتر فانهم ارادوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من
كلام الله تعالى لان الله تعالى لا ينبغي من احد بان يأمر اليوم وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء
نفسك واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد في التصوير بان قيل نزله روح القدس ثم زيد
قوله بالحق دفعا لطعنهم بالطف الوجوه اي نزله ملتبسا بالحق والحكمة ومصالح الخلق
ثم تسوي على قبح افعالهم بان قيل ليثبت الذين امنوا اه تعريضا بان اضداد هذه
الخصال حاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون موبخون منذرون بالخزي والنكال واللعن
في الدنيا والاخرة وان اعداءهم على خلاف ذلك يزيد في غيظهم وضنتهم ما احسن هذا البيان ثم انه
تعالى حكى شبهة اخرى من طاعني نبوته عم فقال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعني انهم اتهموه
صلى الله عليه وسلم بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحي وهو كاذب فيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)